الباب الرابع

المجتمع المدنى

١ - قراءة سريعة
٢ - تفعيل دور المجتمع
٣ - تفعيل دور المجتمع المدنى
٤ - آلية دعم القطاع الثالث
٥ - النموذج الحى للمجتمع المدنى
٦ - آلية قهر الفقر

obeikandl.com

obeikandl.com

قراءة سريعة لتقرير الجامعة العربية حول التنمية الإنسانية

يصاب المرء أحيانا بشعور طاغ يعكس الحالة النفسية التى يمر بها الإنسان أو يعيش لحظاتها، فقد تكون لحالات الانشراح أو الفرح أو السرور أو قد تكون مقدمات لحالات القهر والإحباط واليأس. وقد مررت بالحالة الثانية وأنا أتابع وأطالع ملخص أحدث تقرير أطلقته الجامعة العربية حول التنمية الإنسانية العربية لعام ٢٠٠٢م. فقد كشف التقرير صورة المجتمع العربى بدون رتوش، وأوضح بجلاء مدى الحجم المتدهور الذى وصل إليه الوضع العربى الراهن فى كافة الأصعدة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية. ولنطالع سويًا المضمون المحزن لأهم ملامح الثقوب فى الثوب العربى وأبرزها:

* ١٠ ملايين طفل عربى ما بين سن السادسة إلى الخامسة عشرة خارج أسوار المدارس.
* ٦٥ مليون من العرب البالغين مازالوا أميين ثلثاهما من النساء، وفقًا لما رصده المدير الإقليمى للأمم المتحدة بالمنطقة السيدة ريما خلف أن ثلاثة سمات أساسية تغلب على ناتج التعليم فى العالم العربى:

١ - تدنى التحصيل المعرفى.

٢ - ضعف القدرات التعليمية والابتكارية.

٣ - اطراد التدهور فى تلك القدرات.

* معدل نمو دخل الفرد العربى: أظهر التقرير تدنى هذا المعدل خلال العقدين الماضيين للفرد فى المنطقة العربية بل هو الأدنى بالعالم باستثناء منطقة أفريقيا جنوب الصحراء، فإذا تواصل النمو السنوى عند نفس معدلاته فيحتاج الفرد العربى إلى أكثر من ١٤٠ سنة من أجل مضاعفة دخله.

* إنتاجية العمل فى العالم العربى: سجل التقرير انخفاض معدلات إنتاجية العمل العربى وأرجع ذلك إلى:

* ضعف المهارات وقاعدة المعرفة لدى القوى العاملة.

* ضعف إعداد رأس المال البشرى والفكرى.

أبرز التقرير مقارنة وقياسًا بتقارير أخرى حول العالم إن المعدلات العربية لم ترق إلى المعدل العالمى خاصة القدرات وأرجع ذلك إلى: نواقص - الحرية - المعرفة - عدم تمكين المرأة.

وهذه هى الميادين الثلاثة التى لم تتطور بالمنطقة العربية، ودعا التقرير إلى ضرورة بدء عمليات الإصلاح والتى تعزز وتصون وتدعم رفاهية الإنسان العربى، وبالتالى تقوم على توسيع القدرات البشرية وتنوع خياراتهم واحترام حرياتهم والاهتمام والرعاية لأكثر فئات المجتمع العربى فقراً وتهميشًا.

واقترح التقرير عدة استراتيجيات أساسية لمعالجة النواقص الثلاثة (المعرفة - الحرية - عدم تمكين المرأة) وأهمها وأجدرها بالاهتمام:

* طالب الدول العربية بمواصلة السعى والجهد فى نشر التعليم الأساسى وإطالة الفترة الإلزامية الدراسية لعشر سنوات.

* استحداث مؤسسات لتعليم الكبار مدى الحياة وتحسين نظم التعليم.

* ضرورة التعاون العربى فى مجال التعليم خصوصًا التعليم العالى.

* تطوير المناهج التعليمية ووضع الكتب المدرسية وتدريب المعلمين وزيادة الاستثمار فى مجال البحث العلمى لتحفيز الإبداع والابتكار.

* توفير الفرص الحقيقية أمام الباحثين الجدد ومكتسبى المعرفة للبروز والتميز.

كما ركز التقرير على ضرورة التلاحم الاجتماعى والتكامل الاقتصادى فى العالم العربى مما يؤثر إيجابًا ويثمر عن عائد مرتفع للتنمية الاقتصادية والاجتماعية والسياسية.

بعد الانتهاء من قراءة ومتابعة التقرير انتابنى شعور بالقهر والإحباط مرة أخرى، ولكى يخرج أمثالى من تلك الحالة فليس أمام الأمة العربية إلا إخلاص العمل الجاد المثمر البناء والتعاون الصادق لتحقيق وتنفيذ الاستراتيجيات التى أوصى بها التقرير، حينئذ تندثر وتتلاشى حالات الإحباط واليأس والقهر، ويحل محلها الفرح والبشر والسرور والانطلاق.

وإنى ختامًا لأتمنى على معالى الأمين العام لجامعة الدول العربية نشر التقرير ليكون فى متناول يد القارئ العربى -حتى يقف كل فرد منا على السلبيات والنواقص ويقوم بما له من دور بسد تلك الثغرات ومواطن الضعف وتحويلها إلى مواطن قوة بما يساعد المواطن العربى على المضى بعزم وقوة نحو مسيرته فى طريق البناء والتنمية، والله المستعان.

تفعيل دور المجتمع المدنى :
المرأة والرجل صنوان فى التنمية

فتح مقال الأستاذ عبد العزيز الصويغ عضو مجلس الشورى السابق، والمنشور بجريدة «الحياة» الباب على مصراعيه لنقاشات وأطروحات متعددة الجوانب لمجموعة الأفكار التى طرحها الأستاذ الصويغ فى مقاله الرائع والذى تضمن بعض النقاط والتى من بينها:

١ - ضرورة تمثيل المرأة فى مجلس الشورى باعتبارها كل المجتمع من وجهة نظر الكاتب، فالمرأة هى المجتمع كله، فهى الر حم الذى احتضن كل أبناء المجتمع ذكوره وإناثه، وهى القوة التى تقف خلف وأمام وبجانب كل نجاح يحققه المجتمع، فالمرأة تشكل جزءا كبيرا من العنصر البشرى الذى يعتبر أحد أهم عناصر الإنتاج فى المجتمع، ومن ثم فلابد من وجودها بالمجلس لتثرى مجلس الشورى بأفكارها وآرائها، خاصة وإن المرأة السعودية وصلت بعلمها وبقدراتها وإمكانياتها الذاتية لأعلى المناصب داخل الوطن وخارجه.

٢ - تطوير أداء المجلس بالآراء والمقترحات الفردية حتى وإن لم تكتمل للفكرة والرأى المطروح للنقاش نصاب العشرة الأعضاء حسب االنظام، فالاقتراح الفردى يطرح للنقاش والمداولة، فإن حاز الاقتراح رأى الأغلبية اعتمد من قبل المجلس ومن ثم مناقشته بالتفصيل ثم يرفع الأمر للمقام السامى.

٣ - يترك لمجلس الشورى حق مناقشة وإقرار ما يراه من موضوعات وقضايا يرى فيها المصلحة فى ضوء الثقة التى أولاها ولى الأمر للمجلس وأعضائه.

٤ - مناقشة بعض الطروحات الهامة والتى تطرح على صفحات الصحف والتى فى مناقشتها إثراء للحوار والرأى الآخر.

٥ - أسلوب الانتخاب كوسيلة لاختيار عضو مجلس الشورى وهو أمر لا يمكن استبعاده من مسيرة المجلس وتطويره، بل هو أمر حتمى مقبل لا محالة.

والحقيقة إن مقال الأستاذ عبد العزيز الصويغ بما يضمنه من أفكار ومقترحات

هامة لتطوير فاعلية المجلس، والمطالبة بدخول العنصر النسائى لساحته، كان مثار جدل ونقاش أفراد المجتمع السعودى، وكذلك منتديات الذكور والإناث. كما انبرى الكتاب والمفكرون بنشر مقالاتهم فى الصحف المحلية، منهم من يؤيد دخول المرأة لمجلس الشورى للاستفادة من أفكارها وآرائها فيما يخص المرأة من القضايا والموضوعات ذات العلاقة، شريطة أن يتم عبر الشبكة التلفزيونية المغلقة كما هو الوضع فى الجامعات السعودية، أما البعض الآخر فقد رفض مشاركة المرأة فى أعمال المجلس بحجة أن ولايتها قاصرة على بعض الأعمال المناطة بها، مثل وظيفة التعليم والطب والتمريض وأعمال البنوك، ومقتصرة على مجال خدمة الإناث وذلك لأن ولاية المرأة محدودة، والآراء كثيرة متباعدة ومتضاربة، وعليه لا أحبذ الخوض فى مناقشة ضرورة أو عدم ضرورة دخول المرأة لمجلس الشورى لأن هذا الأمر سابق لأوانه. ولكنى سوف أتعرض لموضوع الانتخابات كوسيلة وأسلوب قد يستخدم مستقبلا لاختيار أعضاء مجلس الشورى لو أقره ولى الأمر، وسواء اقتصر التمثيل بالمجلس على الذكور أو شمل الذكور والإناث، المهم أن نحقق الآلية الفعالة لتحريك المجتمع وأفراده ليقوم بدوره الإيجابى والفعال تجاه نفسه ومتطلباته المعاشية والحياتية، فنبدأ بإيجاد وتفعيل دور أفراد المجتمع بأداء وظيفتهم الخدمية التطوعية تجاه أنفسهم ومجتمعهم ومحيطهم. ولتكن البداية هى الحى أو القرية أو الهجرة، أى البدء بأصغر وحدة فى المجتمع، ونضع الأطر والأهداف والتى يجب على أفراد المجتمع الصغير أن يعملوا فى إطارها لتحقيق تفاعلهم المثمر مع المجتمع المحيط بهم، ولتكون الخدمة التطوعية منصبة فى إطار الوحدة الصغيرة.. ولنأخذ «الحى» كوحدة صغيرة من مدينة مثل مدينة جدة، فنعمل على تكوين مجلس يطلق عليه «مجلس الحى» ويمكن أن يتكون من خمسة أو سبعة أفراد، ويتم الاختيار عن طريق الانتخاب المباشر، وأن تتراوح فترة المجلس الزمنية بين سنتين أو ثلاثة، والترشيح للانتخابات يتم بناء على الرغبة الشخصية للفرد بهدف خدمة «الحى» ضمن الأطر والأهداف المحددة وقد تكون على سبيل المثال:

١ - العناية بنظافة الحى والتعاون مع الجهات المسؤولة عن إزالة كافة المخلفات والنفايات.

٢ - مشاركة الجهات المسؤولة كل من موقعه بخصوص ما يتطلبه الحى لتطويره والرقى به، وكل ماله علاقة بالإنارة والسفلتة والمياه ومياه الأمطار والصرف الصحى.

٣ - الاهتمام بالتشجير والحدائق والتى تعتبر متنفسًا لأبناء الحى.

٤ - العمل مع الجهات المسؤولة لإيجاد مساحات مزروعة بالنجيل ليمارس أطفال الحى بعض الألعاب الرياضية بدلاً من مزاولتها على الشوارع الأسفلتية.

٥ - بناء دور للمناسبات تؤجر، بإيجار رمزى لتقام فيها مراسم العزاء وحفلات الأفراح والأعراس.

٦ - بناء مكتبة تخدم كل الأسرة وجزء منها يخصص للذكور وجزء آخر للإناث.

٧ - عمدة الحى يجب أن يكون ضمن تشكيلة مجلس الحى ليشاركهم أفراحهم وأتراحهم وليتعرف عليهم ويساهم معهم وفى حدود إمكانياته فى اقتراح الحلول.

٨ - أن يخصص المجلس وقتا معقولاً لحل الخلافات والإشكالات التى تحدث بين أبناء الحى بالطرق الودية والعمل على إزالة أسباب الخلاف والمشاحنة وخلق روح الألفة والمودة بين الجميع بقدر الأماكن.

إذا فانتخابات مجالس الأحياء والقرى والهجر هى نقطة الانطلاق لتعميق الالتزام بين أبناء الحى الواحد، ومن ثم الأحياء بعضها لبعض، وخلق روح الانتماء للحى والمدينة والوطن، وانتخابات الأحياء هى الحلقة الأولى ضمن مجموعة من الحلقات المترابطة والمتماسكة، لانتخابات مجلس الشورى عبر مسيرة ديموقراطية حقيقية نموذجية واعية تحقق فى النهاية وصول أفضل العناصر ليكونوا الممثلين الحقيقيين لخدمة المجتمع والأمة والمليك، وعندما نصل إلى الحلقة الأخيرة عندئذ تكون أفكارنا قد نضجت، ومفاهيمنا تبلورت، ونكون قد تجاوزنا جميع المراحل الطفولية، والمراهقة الفكرية، ووصلنا إلى مرحلة النضج الحقيقى، وقتها نفكر ويجدية حول دخول المرأة لمجلس الشورى وغيره من المجالس الفعالة.

أصبح المجتمع المدنى فى الدول الغربية يقوم بدور فعال فى الحياة اليومية ويؤثر تأثيراً إيجابيًا فى جميع مناحى الحياة وجوانبها الاجتماعية والاقتصادية والسياسية، والأمثلة على ذلك كثيرة وهذا بعض منها.

ففى إحدى المدن السويسرية قرر أصحاب محلات الجزارة زيادة معدل أثمان اللحوم عما كانت عليه بنسب بسيطة ومتفاوتة.. فماذا كان رد فعل المجتمع المدنى بتلك المدينة؟

الكل قاطع شراء اللحوم وتم استبدالها بمواد غذائية أخرى مثل البقول، واستمرت المقاطعة لمدة أسبوع تراجع خلاله الجزارون عن نسب الزيادة، ولكن سكان المدينة أصروا على استمرار المقاطعة، فما كان من أصحاب محلات الجزارة إلا أن خفضوا أسعار منتجاتهم بذات النسب التى طالبوا فى البداية برفعها.

* جريدة «عكاظ» نشرت خبراً فحواه أن طالبًا سعوديًا يدرس فى جامعة ألمانية ويسكن مع سيدة ألمانية فاضلة، وأراد بعد تخرجه من الجامعة أن يعبر لها عن شكره وامتنانه، فأحضر لها من بلده هديه قيمة «سجادة ثمينة» فشكرته على الهدية الغالية وأظهرت إعجابها الشديد بها وسألته عن كيفية إدخالها للبلاد، وهل دفع عليها الرسوم الجمركية المستحقة؟ فلما أجاب بالنفى فما كان منها إلا أن سارعت بالاتصال بالسلطات الجمركية المختصة وأخبرتها أن طالبًا سعوديًا أدخل سجادة ثمينة ولم يدفع الرسوم.. فما كان منه إلا أن دفع الرسوم!

* نشر أحد كتاب جريدة المدينة فى زاويته الأسبوعية ما رواه وشاهده صديقه المسافر لباريس، وما حدث للسيدة الباريسية التى سقطت سلسلة مفاتيحها فى «البالوعة» فأخرجت هاتفها الجوال وتحدثت مع جهة ما، وبعد أقل من نصف ساعة وصلت سيارة وخرج منها شخص فتح البالوعة وأخرج منها سلسلة المفاتيح، فشكرته السيدة الباريسية على صنيعه، وعلق صاحب الزاوية قائلاً: لو أن هذا الأمر حدث فى إحدى الدول النامية وسقط الإنسان ذاته فى «البالوعة»

وليست مفاتيحه فماذا كان سيحدث؟ «وأخبروني.. وأنا في انتظار الرد والجواب..» ونحن معه.

في الجانب الآخر نرصد ونستعرض الرؤى والتعلقات عن دور المجتمع المدني في الدول العربية والنامية. يقول الكاتب المصري سعيد سنبل في زاويته في جريدة الأخبار معلقًا: «في مصر لا يزال المجتمع المدني محدود التأثير والفاعلية إما بسبب القيود المفروضة على نشاط الجمعيات الأهلية وإما لعدم جدية القائمين على العديد من هذه الجمعيات».

* نشرت «عكاظ» و«الحياة» خبرًا فحواه أن محكمة قبلية باكستانية حكمت باغتصاب جماعي لفتاة باكستانية لأن أخاها ارتبط بعلاقة غير شرعية مع فتاة من قبيلة أخرى مستواها القبلي أرفع وأعلى من مستوى قبيلة الفتاة المغتصبة «شريعة الغاب».

* يحكى أن حاكمًا أو واليًا على إحدى المدن العربية كانت له بقرة سائبة تجوب الأسواق وتأكل مما يحلو لها من الخيرات، ولم يستطع أحد منعها، وفكر أهل الأسواق في رفع تظلمهم للوالي، واجتمع منهم نفر غير قليل، وذهبوا إلى مقر الحاكم.. وفوجئ المقدم عليهم أنه يقف وحيدًا بين يدي الحاكم، ولم يجد أحدًا ممن اتفقوا معه وشجعوه على الشكوى، فما كان منه إلا أن رفع شكواه وتظلمه للحاكم قائلاً: سيدي الحاكم لكم بقرة تجوب الأسواق وتأكل من المباسط والمحلات، وقد لاحظنا ولمسنا أنها يا سيدي تجلب الخير والبركة للجميع.. فنلتمس من مقام الحاكم الكريم أن يجعل مع البقرة ثورًا حتى يتضاعف الخير وتنمو البركة.

* الأمير طلال بن عبد العزيز في إطلالة له على إحدى الفضائيات العربية أكد أن هناك تجمعًا يضم خيرة المثقفين والمفكرين والعلماء العرب يعمل جاهدًا لتطوير وتفعيل دور المجتمع المدني في الدول العربية تجاه كافة القضايا الاجتماعية والاقتصادية والسياسية الكبرى، والكل في انتظار النتائج.

* فى عهد سيدنا رسول الله ﷺ وفى إحدى الغزوات أمر أصحابه رضوان الله عليهم بالنزول فى مكان وموقع معين، فسأله الصحابى «الحباب بن منذر» أمنزلاً أمرك الله عز وجل به أم هو الرأى والحيلة يا رسول الله: فأجابه عليه أفضل الصلاة والسلام نعم هو الرأى والحيلة، فقال الحباب بن المنذر أمر أصحابك يا رسول الله بالانتقال من هذا المكان، وأشار عليهم بالنزول فى مكان وموقع آخر يكون المسلمين فيه أكثر أمانًا ويشربون الماء وعدوهم لا يشرب، وهكذا كان الرأى والمشورة على عهد رسول الله ﷺ والوحى معه.

وخلاصة القول أنه لتوطيد وتفعيل دور المجتمع المدنى فى الحياة العامة بجوانبها ومناحيها المختلفة اجتماعيًا واقتصاديًا لابد لولى الأمر من دعم وتشجيع الهيئات والجمعيات الأهلية لنشر الوعى وتفعيل ذلك المجتمع، والمشاركة بجدية وفاعلية بالرأى والمشورة فى جميع القضايا المطروحة على الساحة فى إطار أسس وقوانين واضحة وثابتة تشمل:

* اختيار الرجل المناسب فى المكان المناسب.
* صيانة المال العام من عبث العابثين والمفسدين وجعله من المقدسات والمحرمات.
* المواطنون فى المجتمع سواسية كأسنان المشط، ليس بينهم تميز أو تمايز إلا بالتقوى والعمل الصالح «إن أكرمكم عند الله أتقاكم».
* إتاحة الفرص للمجتمع لتحقيق العدل والسلام الاجتماعى.
* حرية الرأى والرأى الآخر والفكر مكفولة للجميع فى إطار القيم والتعاليم الإسلامية.

بهذا نضع البذور الأولى لتحريك وتفعيل المجتمع المدنى لأداء دوره بالتأثير والتفاعل والمشاركة الإيجابية وردم سدود ومتاريس السلبية واللامبالاة.

آلية دعم القطاع الثالث

ورد عن نبى الرحمة سيدنا محمد عليه وآله أفضل الصلاة والسلام ما فحواه «الحياء شعبة من شعب الإيمان»، «إماطة الأذى عن الطريق صدقة» «اتقوا النار ولو بشق تمرة» وورد عنه بما معناه أنه ﷺ أعطى لأحد فقراء المسلمين فأسًا يحتطب بها وما يكسبه من الاحتطاب رزق له ولأسرته.

فالرسول الكريم عليه الصلاة والسلام علمه وأرشده ليسلك طريق العمل بدلاً من السؤال والصدقة. واستكمالاً لما بدأناه فى العددين الماضيين حول تفعيل دور «المجتمع المدنى» فى الحياة وتوافقا مع ما طرحه وناقشه د. بندر حمزة حجار فى مقاله الشهرى حول نفس الموضوع والذى أعطاه بعداً جديداً وأطلق عليه مسمى آخر «القطاع الثالث» والذى بموجبه قسم المجتمع لمثلث ذى ثلاثة أضلاع. «القطاع العام» ويضم الحكومة بسلطاتها الثلاثة التشريعية والقضائية والتنفيذية وهى التى تظل بظلالها الوافرة القطاعين الأخرى «القطاع الخاص» بجوانبه الاقتصادية والمالية والتجارية والعقارية إلخ و«القطاع الثالث المعنى به المجتمع المدنى» هذا القطاع البرعم، ينقصه الدعم المادى والمعنوى ويحتاج إلى آلية فعالة لتحريك دوره وتفعيل أداءه بصورة مؤثرة ومحركة ومتفاعلة بجدية مع متطلبات ومستجدات ومتغيرات الحياة المعاصرة والتى تشابكت قضاياه ومشاكله وحلقاته الاقتصادية والاجتماعية نتيجة الإفرازات الخاطئة والتراكمات العقيمة والتى هى نتاج الأزمات المحلية والإقليمية والعالمية والتى انعكست صورتها السيئة والسلبية على المجتمع بأغلب فئاته وطبقاته. والإحصاءات التى أوردها الدكتور بندر واعتمد عليها فى مقاله القيم وإن كانت بعيدة زمنيًا وقت رصدها إلا أنها تلامس الواقع بصدق وتعطى الدلالات والمؤشرات الموحية بمضامينها وأبعادها وإن كانت مضاعفاتها الحالية وارتفاع معدلاتها ستتعدى وتتجاوز الضعف إن لم يكن أكثر وأعظم.

ولكى نعبر هذا النفق المظلم ونخرج للفضاء الرحب بحيويته وأجوائه الصحية النقية يتعين علينا أن نوجد آلية فعالة لتحريك القطاع الثالث «المجتمع المدنى» بصورة قوية والتى ترتكز على ثلاثة دعامات أساسية:

* **الاستراتيجية العامة**، وتتطلب وضوح الرؤية والمعالم والأبعاد شريطة تغليفها وربطها بالقيم الإسلامية والإنسانية.

* **الأهداف والبرامج** وهذه تحتاج وتتطلب إعادة صياغتها وبرمجتها لتواكب الاحتياجات الحقيقية للمجتمع ولمتطلبات التوعية والتنوير والتنمية الإنسانية والتأهيل البشرى.

* **الدعم المادى**، فهذا العنصر يحتاج لتفاصيل أكثر سنذكرها لاحقا.

الحكومة بشرعيتها هى المظلة الحقيقية الداعمة لعناصر المجتمع ككل والقطاع الثالث «المجتمع المدنى» يقع ضمن إطار ظلالها وسلطتها فوزارة العمل والشئون الاجتماعية هى المشرفة على جميع الهيئات والجمعيات الخيرة، والكل يعرف أن الوزير الدكتور النملة المسؤول عن هذه الوزارة يحمل فكراً خلاقًا وإمكانيات مبدعة تجعله قادراً على إيجاد صيغة عمل عبقرية وجهة أشراف خلاقة ذات فكر مستنير متطور وعقلية تقدمية قادرة على الإشراف على جميع الهيئات والجمعيات، ولديها الفكر الناضج والتصور الحقيقى لوضع استراتيجية شاملة واضحة المعالم والأهداف برامجها محددة مقننة متمكنة وقادرة على تفعيل دور القطاع الثالث ليشمل جميع جوانب الخير والإصلاح وفق مناهج تربوية تدريبية تأهيلية للتنمية الإنسانية والتطور البشرى لإعداد المواطن الصالح.. وذلك بعد أن تخلى البيت والمدرسة والشارع عن تلك الأدوار والمهام والوظائف التى كانت مرتبطة ومنوطة بهم فى ظل الأعراف العريقة والتقاليد الراقية التى عايشتها الأجيال السابقة وعاشت فى جوها العبق وجوانبها المعطرة بالطيب والخلق الحسن والتصرفات الإنسانية التى نكاد نفقدها. فى مقالى السابق أوضحت أن نجاح الأعمال وحسن الأداء الوظيفى واستمرار التطوير والتقدم يتحقق لأى مشروع بحسن اختيار الرجل المناسب ووضعه فى المكان المناسب. الإمام على بن أبى طالب كرم الله وجهه، وضع وأرسى قاعدة عظيمة فى اختيار الرجال لشغل المناصب وقد تم له هذا الأمر بعبقرية فذة قبل ظهور علم الإدارة وكليات علم الإدارة للوجود الإنسانى بقرون عديدة، وخلاصة ما كتبه الإمام على إلى الاشتر النخعى «أنظر فى أمور عمالك فاستعملهم اختباراً ولا تولهم محاباة وأثرة، وتوخ منهم أهل التجربة والحياء من أهل البيوتات الصالحة والقدم فى الإسلام فإنهم أكثر أخلاقًا وأصح إعراضًا وأقل فى المطامع إسرافًا وأبلغ فى عواقب

الأمور نظراً ثم أسبغ عليهم الأرزاق فإن ذلك قوة لهم على استصلاح أنفسهم وغنى لهم عن تناول ما تحت أيديهم، وحجة عليهم إن خالفوا أمرك، وثلموا أمانتك ثم تفقد أعمالهم وأبعث العيون من أهل الصدق والعيون عليهم فإن تعاهدك فى السر لأمورهم قدوة لهم على استعمال الأمانة والرفق بالرعية. فإذا حسن الاختيار تحقق الهدف.

أما آلية الدعم المادى للقطاع الثالث فتتم بثلاث طرق أو أكثر:

الطريقة الأولى: الطريقة التقليدية الدعم الفطرى والبذل العفوى الذى يحض عليه الدين والقيم. فيقدمه الإنسان طواعية من خلال البذل والعطاء والتبرعات والصدقات لوجه الله الكريم.

الطريقة الثانية: حتمية وضرورية إلزام شركة أرامكوا السعودية وأمثالها من الشركات الكبرى والبنوك، بتخصيص ما مقداره ٢,٥٪ من إجمالى رأس المال العامل لدعم ميزانيات الهيئات والجمعيات الخيرية وفق النسب المحددة من قبل وزارة الشئون الإجتماعية وكل حسب أنشطته وجهوده الفعالة.

الطريقة الثالثة: تقرير خصم ٥٠٪ من إجمالى دخل وإيراد مصلحة الزكاة والدخل وتحويله مباشرة لتلك الهيئات والجمعيات، وفق النسب المحددة الأمر الذى يحسن قدراتها على القيام بأعمالها المنوطة بها وتنفيذ الواجبات المطلوبة منها فى إطار الخطط والبرامج والأهداف المرسومة.

هناك نقطة أخرى جديرة بالطرح والمناقشة فبعض الهيئات والجمعيات الخيرية، على سبيل المثال: هيئة الإغاثة الإسلامية وندوة الشباب العالمية، يمتد نشاطها لخارج نطاق الوطن، وعونها وإعاناتها تذهب بعيداً والمطلوب أن تخصص هذه الهيئات الجزء الأكبر من العطاء والعون والبذل فى المحيط المحلى والذى هو الآن فى أشد وأمس الحاجة ويكفى خارج الحدود ما قدم وبذل فى السابق وأكرر مع الدكتور بندر مقولة الوقاية خير من العلاج.

وفى الختام أدعو أهل العلم والفكر والريادة المشاركة بالرأى والرأى الآخر عسى أن تضاف لبنات خير وتفتح أبواب مغلقة وتظهر آفاق جديدة تدعم آلية القطاع الثالث وتفعل دوره الإيجابى.

النموذج الحى للمجتمع المدنى

مقدمة

المجتمعات المدنية فى كل أرجاء المعمورة تمر بمراحل فقد تتطور أو تثبت أو تتراجع وهذه سنن الحياة. واستعرض فى هذه الرؤية مجموعة صور لمجتمعين أعتبرهم مثالين من منظور شخصى بحت أتمنى أن تكون فى تصورنا واعتبارنا ونحن نسعى إلى تنمية وتطوير أهداف وبرامج مجتمعنا المدنى.

- النموذج المكى:

العم عبد الله أحمد مراد الزميل والصديق الراحل يعتبر موسوعة متحركة فى أخبار مكة وأهلها وقد زاملته لفترة ليست بالقصيرة أصغى إليه كلما تحدث عن مكة وأهلها وأفعالهم وتصرفاتهم وذلك لأهمية المعلومة أو لطرافتها أو لندرتها، وحديث عم عبد الله عن مكة له جذور تاريخية تشمل المكان والزمان والإنسان وكان الرجل يتمتع بمحافظة وذاكرة قويتين تستوعب تفاصيل الأزمنة والأسماء والأحداث وكان يروى القصة والحدث وكافة يعايشه لحظة بلحظة وسأكتفى بسرد قصتين أو صورتين:

الصورة الأولى: وقد سمعتها منه ومن الشيخ محمد متولى الشعراوى عبر برنامجه التلفزيونى يرويها عن أهل مكة وملخصها.

إنه فى الأيام الخوالى بمكة المشرفة عندما كانت الحياة بسيطة بكل معانى البساطة وأهلها وناسها تتجسد فيهم الرجولة والشهامة والنخوة، فى تلك الأيام كانت الأسرة المكية وبالأخص سيدات الأسرة من النساء زوجات وأمهات وجدات تمارس وتقوم بكل أعباء المنزل بكل ما فيها من مشقة وتعب برضاء نفس وسعادة فالنساء يمارسن الطهى ونظافة المنزل وغسل الأوانى والملابس وعجن الطحين وإعداد أقراص العيش وتجهيزه للخبز لدى الفران، «والعيش» كان يُصنع فى المنازل ولا يباع جاهزاً كما هو حادث فى أيامنا، ولكن كيف تتصرف السيدات اللواتى فقدن عائلهن يذهبن

للأفران؟ لا. كن يصنعن «العيش» ويجهزونه ويضعونه فى «لوح العيش» ويتركن اللوح مع النقود أمام باب البيت ويمر صاحب النخوة والشهامة وهم كثر، فيحمل اللوح ويذهب به للفرن ويعود به مرة أخرى بعد إتمام خبزه ويتركه أمام الباب ويذهب لحال سبيله دون انتظار شكر أو امتنان.

الصورة الثانية: المعروف أن مكة المشرفة كانت مقسمة إلى حارات (أجياد - الشامية - القرارة - الشبيكة - حارة الباب - الفلق إلخ) وكان لكل حارة عمدة ويساعده نقيب والنقيب ينوب عن العمدة فى حالة غيابه أو راحته ومعهم بعض العسس وكان الحاكم الإدارى لمكة يختار العمدة من أهل الحارة ومن أصحاب الخلق أو الدين وممن له معرفة تامة بساكنى الحارة ويتولى العمدة ومجموعته مسؤولية الإشراف الأمنى على الحارة وحمايتها من الفضوليين والأشرار واللصوص والحرامية، فإذا دبت أو دخلت «رِجل» غريبة إلى الحارة فالعمدة مهمته متابعة ومراقبة هذه «الرِجل» ومتابعة ومراقبة كل الغرباء والمتطفلين ومعرفة من هم ومن أين أتوا وإلى أين هم ذاهبون وإتمام المتابعة للغريب حتى يخرج من نطاق الحارة، والعمدة يسلمه بإشارات متفق عليها مع العمد الآخرين ليتولوا من جانبهم المراقبة بعد استلام العهدة «الغريب» أو المتطفل - فمهمة ومسؤولية العمدة كانت هامة وعظيمة وهى حماية وصيانة الحارة من الغرباء والأشرار واللصوص وحتى من المتطفلين وفى هذه الأيام أصبح مسمى العمدة بلا مضمون ولا مسؤولية وأصبح دوره قاصراً على ختم بعض شهادات التعريف للسكان الحارة والذين لا يعرفهم أصلاً أتمنى وأمل أن يعود العمدة لممارسة دوره الحقيقى ومسوؤليته التاريخية ويزاول نشاطه فى متابعة ومراقبة الغرباء والمتطفلين وأصحاب النفوس الضعيفة والشريرة وهذا لا يتحقق ولا يتم إلا إذا تم اختيار العمدة من أبناء الحارة والمدينة فأهل مكة أدرى بشعابها وأهل الرياض أدرى بأحيائها وحاراتها وأرى أن يساعد العمدة بجانب النقيب والعسس مجلس بلدى يختار أعضاءه من أبناء الحارة ممن يتطوعون لأداء الواجب الوطنى فى حماية الحى وأهلة ويرغبون فى أداء الخدمة التطوعية للحى وساكنيه وبهذا نكون قد أعدنا للمجتمع المدنى اعتباره وهيبته وساعدنا فى إعادة بنائه وتكوينه بصورة عملية وفعالة فهل نحن فاعلون فنضع اللبنة

الأساسية فى موضعها الحقيقى بعيداً عن التغيرات والاجتهادات فنحمى الوطن والمواطنين من الأشرار وأصحاب النفوس الضالة والحاقدين والإرهابيين .

النموذج الإنجليزى:

يعتبر النموذج الإنجليزى للمجتمع المدنى أحد الثوابت والركائز الهامة لهذا المجتمع بعكس مناخها وطقسها المتغير والمتقلب وقد لاحظت ذلك عبر إقامتى القصيرة بلندن للتدرب لدى شركة الطيران البريطانى أو من خلال تردى على مدينة لندن واخترت بعض الصورة للدلالة:

الصورة الأولى: مركز تدريب شركة الطيران البريطانى يقع خارج لندن ونحن المتدربين نقطن وسط مدينة لندن وقطار الانفاق الوسيلة الأفضل والأرخص للتنقل، وفى أحد الأيام ونحن مستقلين القطار فتح باب القطار عند أحد المحطات وسأل أحد الواقفين على رصيف المحطة هل يقف هذا القطار عند المحطة «الفلانية» وتصدى أحد الأصدقاء بالرد قائلاً نعم وهنا قاطعته سيدة إنجليزية من داخل القطار. لا هذا القطار لا يتوقف عند تلك المحطة وأردفت قائلة للسائل خذ القطار الذى يليه ثم التفت إلى من تصدى بالرد ووجهت كلامها إليه (يا سيد) إذا لم تكن واثقًا من معلوماتك فالأفضل أن تقول لا أعرف وران الصمت علينا.

الصورة الثانية: ملخصها أن صديقى سامى علاء الدين أدخلنا بسيارته وعن قصد إلى أحد الشوارع الممنوع الدخول إليها وإذا بجميع المارة يتصدوا لنا ويخرجوننا من الشارع وعلق صديقى هكذا المجتمع المدنى اللندنى يتصدى لكل من يخالف القانون والنظام فهم حريصون على حماية شوارعهم ومدينتهم من التصرفات الطائشة الرعناء والكل يتصدى لمن لا يلتزم النظام أو يحترم القانون.

الصورة الثالثة: كان شاهدها وراويها سامى علا الدين وملخصها أنه حضر مع أب إنجليزى ليشاهد محاكمة ابنه القاصر فى أحد المحاكم الإنجليزية بلندن والابن القاصر يحاكم لأنه لاحظ رجال الشرطة أو المرور وهم يضعون فى بعض النقاط الآلات التصويرية لالتقاط وتصوير السيارات المخالفة لقواعد المرور فما كان من ذلك الفتى إلا أن علق لوحة أشار فيها إلى أماكن نقاط التصوير ونبه أصحاب

السيارات لذلك فهذه (جريمته وجرمه) وقد حكم عليه بالذنب والعقوبة مع وقف التنفيذ وإلزام الأب بمراقبة تصرفات ابنه القاصر وعقب الأب بأنه سعيد بهذه المحاكمة التى نُصبت لابنه لأنه بهذا الأسلوب نصون حريتنا ونحمى مجتمعنا من العابثين كباراً وصغاراً.

وفى يقينى أن الصور السابقة تعطى دلالات واضحة ومؤكدة بأن المجتمع المدنى إذا نمى وطور ووضعت له المعايير والمعالم بشكل واضح وسليم وأشار له الجميع بتحمل المسؤولية وأداء الواجب يجنبنا كثيراً من المخاطر وحقنا للوطن الأمن والأمان والاستقرار وهذه أهم العناصر التى تساعد على التطور والنمو وإقبال رؤوس الأموال الوطنية والأجنبية للاستثمار وفتح مجالات جديدة للصناعة والتجارة والإعمار وكلها تخلق وتوجد فرص جيدة للشباب ولأبناء وبنات الوطن للعمل والمساهمة فى البناء والتطوير والتقدم والانتعاش الاقتصادى وهذه أهم العناصر للقضاء على الفقر والبطالة.

وآخر الكلام كتب فى «عكاظ» أ. د. عبد العزيز رادين «التخلف المجتمعى نقضى عليه بتفعيل مؤسسات المجتمع المدنى».

لسيدنا عمر بن الخطاب مقولة عظيمة رائعة تحدد مسؤولية الحاكم وكل من يتولى منصبًا إداريًا: «لو أن شاة بأرض العراق تعثرت لسئل عنها عمر»، وفى خطوة رائدة يتجسد فيها حجم وضخامة المسؤولية وشعور الحاكم الأمين والحريص على مصالح الأمة وبعبء الأمانة الملقاة على عاتقه التى يحملها فى عنقه تجاه أبناء الأمة مواطنى هذا البلد المعطاء، قام سمو الأمير عبد الله بن عبد العزيز ولى العهد بزيارة الفقراء فى أحيائهم ومساكنهم بالعاصمة الرياض، قد هال سموه ما رآه وما لمسه من حالات الفقر والبؤس والشقاء والمعاناة التى يعانيها فقراء هذه البلاد الغنية، ولا شك أن هذه خطوة مباركة لولى الأمر يتعرف فيها على أحوال المواطنين عن قرب بعيداً عن الروتين والتقارير، والكل يتطلع أن تمتد زيارات سموه لتشمل كافة المدن، ومدن موطن الرسالة والهدى مكة المكرمة والمدينة المشرفة، ومن نتائج زيارة الخير والبركة إنشاء وتأسيس صندوق للخير أطلق عليه «صندوق الفقر» بادر سموه وتبرع لذلك الصندوق بعشرة ملايين ريال، وهى بداية طيبة وبشرى خير والمتوقع أن تتوالى التبرعات ولا تتوقف عند حد معين، وفى نفس الوقت يتطلع الجميع أن يقوم سموه بتحديد أهداف «صندوق الفقر» ورسم خطة العمل له.

وعن وضع الآلية الفعالة التى تضمن له دوام الاستمرار والبقاء والعطاء فإننى أتصور ركائزها وبنودها ومفرداتها مدعمة ومرتكزة على الأمانة والصدق والشفافية وحب وفعل الخير والإيثار والابتعاد عن المصالح الذاتية والدعاية والبيروقراطية والروتين المهين مع التركيز على تفعيل وتفاعل المجتمع المدنى بكافة طبقاته وفئاته ولأهمية هذا العمل وجديته، وذلك تشيًا مع نبراس النبوة العظيم «الخير فى أمتى إلى يوم القيامة»، كما قال عليه أفضل الصلاة والسلام، المهم بلورة هذه الزيارة ونتائجها الخيرة وأهدافها ومراميها العظيمة فى إطار مشروع حضارى يصاغ ويوضع بأسلوب واقعى إنسانى يجسد معاناة ومشاكل وأعباء الفقر والمعدمين ووضع الحلول العملية والتطبيقية لمشاكلهم الحياتية واليومية وجبر عثراتهم والأخذ بأيديهم

إلى بر وشاطئ الأمان وفق خطط ناضجة مدروسة شاملة واضحة المعالم والأبعاد للحاضر والمستقبل، وأن لا تكون حالة وقتية عابرة متأثرة بالموقف ومؤثرة ومحركة للقلوب والمشاعر للحظات ثم تتلاشى وتذوب وتنزوى، ومن ثم لا تترك أثراً أو نتيجة إيجابية واضحة، فالكل يرقب ويتطلع لعمل منهجى وخطة أصيلة موضوعية لها آثارها القوية وبصماتها الجليلة فى حاضرنا ومستقبلنا «فأما الزبد فيذهب جفاء وأما ما ينفع الناس فيمكث فى الأرض» صدق الله العظيم.

والشىء بالشىء يذكر، فقد تذكرت حكاية طريفة وسيناريو جميل حقيقى سمعته أثناء تواجدى فى مدينة لندن للعلاج من أزمة قلبية ألمت بى قبل ستة عشر عامًا، وأحمد الله على العافية، والقصة أهديها بكامل تفاصيلها لمعالى الدكتور على إبراهيم النملة وزير العمل والشئون الاجتماعية. فبعد انتهاء علاجى بنتائجه الطيبة وقرب عودتى للوطن، طلبت هاتفيًا سائق سيارة صديقى العزيز والذى عاش فى لندن لفترة ليست بالقصيرة، والذى وضع سيارته وسائقه تحت تصرفى خلال فترة إقامتى وعلاجى، وطلبت منه أن يمر على فى الفندق الذى أقيم فيه لمرافقتى فى جولة استطلاعية أخيرة لرؤية معالم لندن، وانتهى بنا المطاف إلى حديقة هايد بارك الشهيرة، وخلال جلوسنا على حافة البحيرة، سرد لى السائق المجرى أحداث حياته وقصته، ابتداءً من هروبه وزوجته وابنه من بلدهم الأصلى «المجر» بعد أحداث الثورة البلشفية الشيوعية، واستقرارهم فى لندن والعمل والعيش فيها، ونهاية ببلوغه وزوجته الخامسة والستين من العمر، والمفاجأة التى حدثت له وزوجته بعد بلوغهم سن الخامسة والستين أن استدعاهم مكتب الضمان الاجتماعى بلندن للمثول أمام الموظف المختص، فقاطعته الحديث ولكن ما هى علاقتك بمكتب الضمان الاجتماعى وأنت مجرى الجنسية ولست بريطانى؟ فرد على أنه نفس السؤال الذى طرحته على موظف الضمان فكان رده وبالحرف «سيدى أنت وزوجتك هاجرتم لهذه البلد منذ زمن بعيد، وعشتم وعملتم به، والآن بلغتم سن الخامسة والستين، فالواجب علينا نحن الحكومة البريطانية أن نقف معكم متضامنين ومتعاونين نؤمن لكم الحياة والعيش الكريم! ولكن يا سيدى لسنا إنجليز، ولم نعمل لدى الحكومة الإنجليزية، فقد عملت سائقا لدى القطاع الخاص والأفراد، فرد الموظف أنتم عشتم فى بلدنا

وعملتم بهـا وكانت عليكم واجبات ووفيتم بها فـأصبح لكم علينا حقوقـا تجاهكم لابد من وفائها وسـدادها، وهذا وقت الوفاء والسداد. وانتهى الحـوار والنقاش، وقد خصصت الحكومة البريطانية ممثلة فى مكتب الضمان الاجتـماعى مخصصا أسبوعيا لكل من الزوج والزوجة ما يقارب أربعمائة جنيه استرلينى شهريًا، وفى نهاية القصة وجه السائق المجرى خطابه وكلامه إلى؛ أليس هذا جميل ورائع؟! فقلت نعم جميل ورائع، ثم أردف السائق «المجـرى» قائلاً: أظن أنكم تحـصلون فى بلادك ومن مكتب الضمـان الاجتمـاعى أضعاف أضـعاف ما حصلـنا عليه هنا «أنا وزوجتى، فـحسب علمى أن بلادكم غنية وغنية جداً أليس كذلك؟! وهززت رأسى بالموافقة، وفى ذات اللحظة التى كانت رأسى تدور وتلف من الدهشة والمفـاجأة والعجب والصدمة! ثم صرخت بصوت عال: «لقد فعلها سيـدنا عمر بن الخطاب مع اليهودى العجوز، نعم لقد فـعلها قبل أربعـة عشر قـرنًا» وصدق سيـدنا على بن أبى طالب كرم الله وجـهه بمقولته لو كان الفقر رجلاً لقتلته.. ويا أمان الخائفين.

آخر الكلام

عندمـا تتـحـرر الإرادة من الهـوى، والنفـوس من الظلم والفسـاد والتـعـصب، والقلوب من النفاق والبغض والحسد، حينئذ يعود الإنسان إنسان ليعبد رب الأوطان ويعيش الكل فى سلام فى أرض السلام بمباركة رب السلام ساعتها تورق الأشجار وتتفتح الأزهار وتصدح الأطيار بأعذب الألحان.